مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: **09** عدد: **01** السنة **2023** E-ISSN:2588-2325

التنوع الثقافي ودوره في تشكيل الهوية الثقافية من منظور قيّم المواطنة.

Cultural diversity and its role in shaping identity from the perspective of citizenship values.

قرينات بن شهرة *، جامعة عمار ثليجي بالأغواط. ben.grinat@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال: 2022/08/31 تاريخ القبول: 2023/01/31 تاريخ الإرسال: 2023/06/30

ملخص:

للتنوع الثقافي دور مهم في تشكيل الهوية الثقافية للفرد، وقد أصبح لهذا التنوع أثر كبير في بناء الوحدة الوطنية واستقرار الشعوب، ولا سيما بعد ظهور وتشكل هويات مضادة ومهيمنة داخل المجتمع، وجاءت دراستنا الحالية للإجابة عن دور التنوع الثقافي في تشكيل الهوية الثقافية في ظل قيّم المواطنة، وقد هدفت دراستنا في معالجة هذا الدور من خلال التراث الفكري للتنوع الثقافي من جهة، ومن جهة أخرى حاولنا تسليط الضوء عن طبيعة العلاقة الموجود بين التنوع الثقافي والهوية الثقافية وقيّم المواطنة، وذلك من خلال تسليط الضوء على التفاعلات التي بينها وما ينتج عنه من تنوع من شأنه أنّ يغذّي مفهوم الانتماء لدى الفرد داخل المجتمع، لكي يجد في المواطنة مساحة للتعبير عن معالمة لتشكيل هوية وطنية جامعة لكل الأفراد باختلاف أعراقهم وتنوع ثقافاتهم في الوسط المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: التنوع القافي ،الهوية الثقافية ،قيم المواطنة.

Abstract:

Cultural diversity has an important role in shaping the cultural identity of the individual, and this diversity has had a significant impact on building national unity and the stability of peoples, especially after the emergence and formation of counter and dominant identities within society. Our current study came to answer the role of cultural

* المؤلف المرسل.

diversity in shaping cultural identity in light of the values of citizenship. Our study aimed to address this role through the intellectual heritage of cultural diversity on the one hand, and on the other hand we tried to shed light on the nature of the relationship between cultural diversity and cultural identity and the values of citizenship, by shedding light on the interactions between them and the resulting diversity of It would nourish the concept of belonging to the individual within society, in order to find in citizenship a space to express its features to form a national identity that includes all individuals of different races and diversity of cultures in the community environment.

Keywords: Rhythmic diversity, cultural identity, citizenship values.

مقدمة:

يزداد اهتمام الشعوب والمجتمعات في العصر الحديث في اثراء بعده الثقافي عبر وسائل وطرق المتاحة في وسطه المجتمعي، انطلاقا من الأعراف والعادات والتقاليد السائدة على مستوى تركيبته الاجتماعية، وذلك من خلال تطوير نفسه بشتى السبل المتاحة ما لم تتعارض هذه السبل مع هويته ومبادئه دون المساس بالأصالة الضاربة في عمق تاريخه الخاص به، وهي تسعى من خلال ذلك إلى تكريس مفهوم الهوية الوطنية لأنّها تحترم شخصيتها الثقافية من جهة، واحترام الآخرين من منطلق التعايش من جهة أخرى، وهذا الاهتمام مصدره الحاجة الأساسية لأي فرد أو جماعة وهي تأكيد مفهوم الذات على مستوى الفرد الواحد ويتعداه إلى مفهوم الجماعة من خلال تأكيد الهوية القومية، وذلك من خلال التواصل مع إرث الأمة المادي والفكري، ويظهر جلياً وبوضوح في سعي المجتمعات الحديثة في البحث عن جذورها الثقافية كي لا تكون هويتها مبتورة الأصل أو مزورة ولا يعرف لها مصدر، وقد يواجه مجتمعات تنكر التنوع الثقافي والاجتماعي، من منطلق يتمثل في اعتقاده كذريعة أنّه لا تميز في مجال القيّم بين الجوانب الروحية والثقافية وغيرها، وأن التفوق الحقيقي الذي يمكنه أنّ يشكلّ مجتمع متكامل هو ذكائه في مجال الاقتصاد والعلوم فقط، وما دون ذلك انّما يدخل في باب التنوع الثقافي بين الشعوب. والتي من تستطيع أن تتفاعل فيما بينها من منطلق مسمى العولمة.

1. إشكالية الدراسة:

لقد بات واضحاً أنّ أخطر ما يواجه الأمم و الشعوب و يهدد مصيرها أنّ تتسرب روح الاختلاف والتناحر إلى أفرادها، ويعيش كل واحد منهم بجراح الأحقاد والضغائن التي تثقل كاهل جسمه وتقض مضجعه، وتؤرق جفينه، وبتلك الفرقة والتطاحن تصاب الشعوب بالتفكك روابطها الاجتماعية وتخاذل قواها البنائية والدفاعية، وتأكل بناها التحتية ولئلا يصاب المجتمع الإسلامي بهزات داخلية وخارجية كانت مهمة الفرد، التعاون مع إخوانه في الحياة باستفراغ الجهد وبذل الوسع ما أمكن من أجل ردم هوة الخلاف واجتثاث منابت الفرقة والاختلاف، ودكّ معاقل الفتنة وطمس معالم الشقاق والنزاع، ولكن لن يتحقق ذلك إلى في ظل المواطنة الحقيقية التي تقوم على التسامح والإخاء. (محمد بوعلاتي ،2008ص44)

ولأنّ الثقافة جزء مهم في تشكيل شخصية هذا الفرد ،وأنّها جزء من شخصيته وهويته الثقافية مع ما تحمله الثقافة من أشكالاً متنوعة عبر المكان والزمان، ويتجلى هذا التنوع في أصالة وتعددّ الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية من منطلق التنوع الثقافي، بوصفه مصدراً للتبادل والتجديد والإبداع، وهو ضروري للجنس البشري ضرورة التنوع البيولوجي بالنسبة للكائنات الحية، وبهذا المعنى يكون التنوع الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية وينبغي الاعتراف به والتأكيد عليه لصالح الأجيال الحالية والأجيال القادمة، ولذا لا بد في مجتمعاتنا التي تتزايد تنوعا يوماً بعد يوم، مع ضمان التفاعل المنسجم والرغبة في العيش معاً فيما بين أفراد ومجموعات ذوي هويات ثقافية متعددة ومتنوعة وديناميةـ فالسياسات التي تشجع على دمج ومشاركة كل المواطنين تضمن التماسك الاجتماعي وحيوية المجتمع المدني والسلام. وبهذا المعنى تكون التعددية الثقافية هي الردّ السياسي على واقع التنوع الثقافي، كما أنّ التعددية الثقافية التي لا يمكن فصلها عن الإطار الديمقراطي، مواتية للتبادل الثقافي ولازدهار القدرات الإبداعية التي تغذي الحياة السياسية.(منظمة الأمم المتحدة ،2021، الفقرة 02)

وعلى ضـــوء ما ســـبق، هناك تخوف من ذوبان الثقافة العربية وموروثها الاجتماعي أمام الثقافة العالمية الجديدة المهيمنة، خصوصاً مع انتشار وسائل الاتصال الرقمي والانتشار الواسع والسريع للمحتوى الثقافي الغربي بفضل ما حققته التكنولوجيا الحديثة للمعلومات، وكذلك يمثل الوعي بشكل عام المركز الرئيسي لحركة الانسان وفكره وسلوكه، و يعرّف بأنّه إدراك الفرد لنفسه والبيئة المحيطة به، ويعدّ الوعي الســياســي أحد أنماط الوعي، وهو على درجه كبيره من الأهمية في الدراســات الاجتماعية والســياســية في غياب الوعي الســياســي يعني انتشــار الفســاد والدكتاتورية

وكذلك غياب المبادئ الديمقراطية والوعي السياسي من المفاهيم التي لها أهميه كبيره في ميدان علم السياسة وكذا الثقافة، فهو يهدف دائما إلى تحقيق طموحات وأهداف الافراد في المجتمع ورفع مستوى المجتمع من حيث الصحة والتعليم والمستوى المعيشي والخدمات بشتى أنواعها، وكذلك تطوير النظم الاجتماعية السائدة و تطوير الاطار الثقافي للمجتمع.(سرحان وعبادي ،2019ص55)

وعليه يمكن القول، أنّ الثقافة ودورها في تشكل الهوية الثقافية لمجموعة اجتماعية، قد تستدعيه قضية التساند والوظيفة كما يقرّ بذلك الوظيفيون، وقد تكون نوعاً من التكامل البنيوي للجماعة كما يقول البنيويون، وأن الثقافة على الرغم من الوظيفة الهوياتية التي تؤطرها أو شكل البنية التي تسعى للحفاظ عليها، فإنها متغيرة ولكن تغيرها مرهون بألية التحول والتكيف، وهذا يعني بأن البيئة ليس لها دخل في تحديد اتجاه الثقافة بمعناها المطلق، ما لم تصادفها عوامل أخرى إذا أقررنا بقضية التنوع وأنّها سنة كونية وأنّه من أهم ركائز تكوين الهوية للمجموعة الاجتماعية وتأثر الثقافات المحيطة به في المجتمع الواحد. (خليل، 2020 ص ص 7-8)

ومن هنا يسوقنا الطرح، إلى فهم علاقة التنوع الثقافي في تكريس قيّم المواطنة في ظل الوحدة الوطنية في المجتمع الواحد ومدى مساهمته في بناء الهوية الثقافية للفرد، وما يقابله من تحدّيات على أكثر من صعيد، كالتنوع العرقي، وتعدد العادات والتقاليد، وانتشار أكثر من لهجة في الوطن الواحد، ناهيك عن التعدد السياسي تحت مسمى الديمقراطية، كل هذه العوامل من شأنها أنّ تفرض دور تقبل التنوع الثقافي داخل المجتمع الواحد تحت مسمى التعايش واحترام الآخر وتقبله كما هو، ويعتبر هذا الأخير أحد ركائز المهمة في تعزيز قيم المواطنة في مواجهة التطرّف والعنف وذلك بتقوية الروابط بين أفراد المجتمع الواحد على أسس دينية ووطنية من خلال تطبيق والالتزام بالقانون، وتجاوز كل محاولات الالتفاف عليه فلا مواطنة بدون ضوابط شرعية قانوناً وعرفاً تنظمها، والتي بدورها تحدد الحقوق والواجبات لأبناء الوطن الواحد.

وعليه يمكن أنّ نطرح التساؤلات التالية: **ما المقصود بالتنوع الثقافي، وما هي أهم مظاهره ومعاييره التي يقوم عليها؟ هل للتنوع الثقافي دور بارز في بناء الهوية الثقافية في ظل قيّم المواطنة؟**

2. فرضية الدراسة:

تتمحور الدراسة الحالية حول فرضية مفادها أنّ (التنوع الثقافي دور فعّال وركيزة مهمة في تشكيل الهوية الثقافية للفرد، كما أنّ لها مساهمة في ترسيخ قيّم المواطنة داخل المجتمعات المختلفة ثقافياً، والمتوحدة جغرافياً، والقائمة على احترام الآخرين، وعدم نبذ بعضهم البعض)

3. أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى معرفة دور التنوع الثقافي في تشكيل الهوية الثقافية، ودورها في تكريس مفهوم قيّم المواطنة، كما تهدف إلى التعرّف على مفهوم التنوع الثقافي وأبعاده والأسس التي يقوم عليها، وإيجاد مقاربة للعوامل المؤثرة في التنوع الثقافي الاجتماعي وأثرها في تعزيز قيم المواطنة. وتحديد اهم المظاهر التي يقوم عليها هذا التنوع وأثرها على الوحدة الوطنية بشكل عام.

4. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة كاستجابة للعديد من التوصيات الصادرة عن أبحاث ودراسات علمية والمؤتمرات التي تؤكد على مثل هذا النوع ن الطرح، مثل هكذا مواضيع ملامسة للواقع المعاش، كما تكمن الأهمية فيفتح آفاق جديدة أمام الباحثين آخرين للقيام ببحوث مستقبلية في مجال دراسات التنوع الثقافي ودوره في بناء مجتمع واعي بحقوقه وحقوق الآخرين، وما يقابله من تنامي المشكلات المؤثرة على أمن المجتمع من جرّاء الانحرافات الفكرية المتصاعدة في نبذ الآخرين من منطلق عرقي أو ديني مبني على رفض الآخر.

5. مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

أ-التنوع الثقافي:

يشير مصطلح التنوع الثقافي عموماً إلى الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيها، ويتجلى هذا التنوع عبر أصالة وتعدّد الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات معاً والتي تتألف منها الإنسانية جمعاء، فهي مصدر للتبادل والإبداع، وبهذا المعنى فإنّ التنوع الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية، وينبغي الاعتراف به والتأكيد عليه لصالح الأجيال الحاضرة والمستقبلية. (بن مهني وجغلول، 2018،ص 310.)

وعليه يمكن القول، أنّ التنوع الثقافي، هي مجمل من السمّات المميزة سواء روحية كانت أو مادية أو فكرية أو عاطفية، التي يتّصف بها مجتمع أو مجموعة اجتماعية، على أنّها تشمل كذلك جانب الفنون والآداب وطرائق الحياة، وأساليب العيش معاً، ونظم القيّم، والتقاليد، والمعتقدات. والتي يمكن أنّ يتناقلها الأجيال.

ب- الهوية الثقافية:

تبنى الباحث في هذه الدراسة تعريف (عبد الجليل الطيب ،2005ص 22) للهوية الثقافية، والتي يقصد بها "هي الدين أو اللغة أو العادات والتقاليد والعرف أو القيّم الاجتماعية المشتركة أو الملبس أو وسائل الإنتاج أو طرق الأكل والشرب أو نظام أسلوب الإدارة والتنظيم الهيكلي للقوة والسلطة والقانون المنظم والقصص والأساطير والخرافات والمعتقدات المعنوية والرموز وكما يندرج فيها وحدة المصالح والمصير والتاريخ المشترك "

ج- المواطنة:

تعرّف لغة بأنّها صفة بصيغة دالة على المطاوعة والمشاركة مشتقة من اسم الفاعل "مواطن " أي قطن وأمن، أما اصطلاحاً تعرّف بأنّها " هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتمائه للوطن وفق لوائح وقوانين ينص عليها النظام القائم على مصالحه. (السيد، 2012، ص12).

وترى بن عائشة (2021ص ص 4-5)، أنّ مصطلح المواطنة " كلمة تتّسع للعديد من المفاهيم والتعريفات، فالمواطنة في اللغة مأخوذة من الوطن، وهو محل الإقامة والحماية، ومن حيث مفهومها السياسي فالمواطنة هي (صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى الوطن)، وفي قاموس علم الاجتماع تم تعريف المواطنة: بأنّها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول (المواطن) الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة.

6. منهج الدراسة:

في ضوء طبيعة الدراسة وأهدافها، سوف تعتمد الدراسة الحالية على منهج البحث الوصفي في بعده التحليلي، وذلك من خلال استخلاص انعكاسات الرؤى المختلفة والمتباينة ويرجع طبيعة استخدام المنهج الوصفي في البحث في دراسة العلاقة المختلفة ين المتغيرات وكثيراً ما يتم

استخدام طريقة المنطق في ربط وايجاد علاقة أو حتى فروق بين متغيرات موضوع الدراسة من منطلق (الاستقراء، والاستنتاج) قصد التوصل إلى قاعدة عامة يمكن الحكم عليها.

7. مظاهر التنوع الثقافي وأهم المعايير التي يقوم عليها:

1.7. مظهر التقارب بين الثقافات:

يرى اللحام (2009،ص125) التقارب على أنّه "من النادر جدّاً أنّ نجد مجتمعاً لا يقوم على التعددية والتنوع لقومي والديني والمذهبي والقبلي واللغوي، وأنّ أي محاولة لإقصاء وعزل هذا التعدّد من شأنه يسهم في الانقسام والتجزئة وإلى احداث خلل في نسيج المجتمع، فطبيعة المنظومة الاجتماعية وأشكال العلاقات القائمة بين عناصرها، هي انتاج كيفي لمجمل الخصائص الذاتية والنوعية التي يتميز بها المجتمع في وضع تاريخي واجتماعي محدد، إذ متى كانت خصائص الأفراد على درجات متقاربة وقريبة من التماثل نتج عنه قبول لثقافة (الآخر)، وكان ذلك داعياً إلى تشكيل معايير ضبط وانتظام، ترتبط في خصائصها بخصائص الأفراد المختلفة، ومع وجود التنوع لابدّ من وجود تنوع في المعايير الضابطة أيضاً وما يقابلها من تناقض من ناحية أخرى.

ويرى الباحث، أنّ التقارب الثقافي وسيلة فعّالة في رفض كل الأفكار الناجمة عن الجهل والأحكام المسبقة، والتي ينتج عنها التوتر وانعدام الأمن والعنف والنزاع، ولهذا فالتقارب الثقافي القائم على الحوار والتعارف ونبذ التعصب وسيلة ناجعة في تطور المجتمعات في ظل التعدد الثقافي، والذي بدوره يقوم على تشجيع واحترام ثقافة الآخر، وكسر الحواجز بين الثقافات المختلفة مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية ثقافة كل مجتمع، وفق المعايير لخاصة به مع مراعاة جوانب الاختلاف من خلال ضبط معايير التناقض والاتفاق معاً.

2.7. المظهر الديني:

يعدّ أمر التعرّف على الأديان العديدة التي انتشرت في كافة أنحاء الأرض من أفضل السبل لتلاقح الشعوب والأمم، فضلا عن التعرف على العديد من الحضارات وعوامل الاختلاف الحضاري. فيما بينها، وفي هذا الصدد اعترفت الأمم المتحدة بأهمية حرية الديانة أو المعتقد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتمد عام 1948، حيث تنص المادة 18 منه على أنّ **"لكل إنسان حق في حرية الفكر والوجدان والدين ويشمل ذلك حريته في أن يدين بدين ما، وحريته في اعتناق أي دين أو معتقد يختاره"**

3.7. مظهر العادات والتقاليد:

تعدّ على رأس الاختلاف الثقافي والحضـــاري بين الأمم، حيث أنّ الأمم تحرص على توريث جميع عاداتها وتقاليدها، ومن إيجابيات التنوع الثقافي الاعتراف بشـــرعية جميع الثقافات الموجودة في المجتمع، حيث أنّها تمثل جزءاً مهما من المجتمع والتعرف على عادات الثقافات الأخرى وقيمها وتقاليدها. (فاضل، 2020ص 37)

في حين يرى مســـاعدية (2017ص37) على أنّه "هو نظام اجتماعي يتكون من المعتقدات والأفكار المســـتمدة من فكر الجماعة وتراثها وعقيدتها، وتمثل العرف في معايير اجتماعية تحدد الأفعال المرغوبة وغير المرغوبة والسلوك الصحيح والخطأ بالنسبة لثقافة المجتمع.

4.7. التعدد اللغوي:

للتعدد اللغوي علاقة بالهوية الثقافية، وفي هذا الصـــدد ترى ســـوقال (2018، ص35) أنّه "من المعروف أنّ هناك صـــلة طبيعية بين اللغة التي تتحدث بها جماعة اجتماعية من النّاس وبين هوية هذه الجماعة، فمن خلال اللهجة التي ينطقون بها، والمفردات التي يســـتخدمونها وأنماط الخطاب التي يستخدمونها، يقوم الناس بتعريف أنفسهم وهم لا يشعرون، ويعرفهم الاخرون بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والدينية، وتصـــنيفهم على أنّهم نســـيج مهم داخل نظام مجتمعي كبير ومتعدد".

5.7.عدم المفاضلة بين الثقافات:

يـذهـب (كلود ليفي ســـتراوس) (Claude Lévi-Strauss) إلى أنّ تقبل التنوع الثقافي أو ما أســـماه (النســـبية الثقافية)، مدعاة للقول بأنّه " ليس هناك ثقافة لها الحق في اعتبار ذاتها أرقى من الثقافات الأخرى وأنّ ليس هناك مفاضـــلة بين الثقافات"، ومفهوم التفوق الثقافي هو وليد المركزية الأثنية أو الميل لاعتبار ثقافة نموذجاً إنسانياً يخص كل البشر).

ولما تقدم من طرح، فإن التنوع الثقافي ونتائجه، إنّما يرتبط ارتباطاً مباشـراً بطبيعة القصـد الذي تتبناه المكونات الاجتماعية المختلفة، فإنّ كان حسـن المقاصـد فإنّه سـيؤدي إلى التلاحم والبناء والاستقرار والتقدم، وإنّ كان يشوبه سوء المقصد وحب الذات في صورتها الاجتماعية، فإنّه سيؤدي

إلى تفكك المنظومة الاجتماعية، وغلبة الصراع، وأنّ معايير السلوك الحسن المقاصد أو سوئها

معايير السلوك "التنوع الثقافي"	معايير السلوك "الإنغلاق الثقافي".
تصحيح الخطأ بهدف تصحيح النتائج.	التظليل للتفوق.
إظهار جوانب أخرى للحقيقة.	احتكار الحقيقة.
الدفاع عن الحقوق.	التسلط على الحقوق.
الإيثار والرغبة بالاندماج.	حب الظهور والشهرة.
تقديم حلول للمشكلات.	تعقيد المشكلة وعدم القدرة على حلها.
الإصلاح.	النزاع.
الإثراء المعرفي.	المراء.
التيسير والتبشير.	التعقيد والتعسير.
القول اللين والموعظة الحسنة.	الفظاظة وغلظة القلب.
المرونة والرفق.	الشدة والعنف.
العفو والصفح.	اللوم والذم والإلحاح.
التقبل والتقدير والتواضع.	التكلف والتسفيه والتكبر.

يمكن تحديدها في الجدول الآتي:

(1) يوضح الفرق بين معايير سلوك ثقافة التنوع وسلوك الانغلاق الثقافي (خليل، طلال حامد،2020 ص 12)

ومن خلال ما سبق، نلاحظ أنّ بدون وجود هذه المعايير يصبح التفاعل بين كافة الأشخاص أمراً غاية في الصعوبة، وبدونها أيضاً يواجه الأشخاص صعوبات كثيرة فيما يتعلق بعملية اتخاذ القرارات المناسبة في المواقف المختلفة، وذلك لأنّ تلك المعايير تعتبر بمثابة نوع من الضمان والتحديد الثقافي لتوقعاتنا في المواقف المتنوعة، خاصة المواقف الجديدة الّتي تفتقر إلى الشبيه أو المماثل لخبراتنا.

8. التنوع الثقافي ودوره في تشكيل الهوية الثقافية في ظل قيّم المواطنة:

يعدّ مفهوم" الثقافة "ملازماً للعلوم الاجتماعية لاسيما في عمقه الأنثروبولوجي، وهو ضروري في تكوين الوحدة البشرية قائمة على التنوع بشكل يختلف عن التفكير المستند الى" البيولوجيا "، ويبدو أنّ هذا المفهوم يقدم أكثر الأجوبة اقناعاً على سؤال الفارق بين الشعوب، فاذا لم تكن الثقافة معطى وميراثاً ينتقل من جيل الى جيل آخر، فإن ذلك لا يعدّ نتاجاً تاريخياً، لكنه في

حقيقته بناء يندرج في سـجل التاريخ، وبشـكل أدق يندرج في تاريخ المجموعات الاجتماعية فيما بينها التي تشـكل تراتباً ثقافياً واجتماعياً، وفقاً للتدرج الطبقي الموجود في كل المجتمعات حديثاً وقديما. (زامل ومنصور،2022ص30)

وتبرز **العلاقة بين التنوع الثقافي والهوية الثقافية** في أنّه توجد علاقة وطيدة، حيث أنّ الهوية لا يمكن أن تكتمل إلا بوجود الثقافة، وتميز الهوية الثقافية بأنّها تمتلك القدرة على فهم التنوع الثقافي لجميع الشـعوب، كما أنّها تقوم على جمع جميع الأفراد في المجتمع من أجل أنّ تبلور هوية ثقافية تجمعهم، ومن أكثر الأمثلة أهمية على وجود علاقة بين الهوية الثقافية والتنوع الثقافي، هي الهوية الإسـلامية التي قامت بجمع جميع النّاس ممثلة في قوميات متعددة وجنسـيات وشـعوب على صعيد واحد (فاضل، 2020ص 38)

وعليه يرى الباحث، أنّ المعضـلة الحقيقية في بناء الانسـان في الوسـط الاجتماعي هي تلك التغيرات الثقافية التي تطرأ على الفرد، والتي في مجملها متسـارعة على أكثر من صـعيد ومنحى ويتعارض في كثير من الأحيان مع معتقداته الدينية، والعادات والتقاليد التي تربطه بواقعه المعاش، ممّا صـعب عليه اسـتيعاب الصـدمة الناتجة عن التغيرات الناتجة عنها ،ونقصـد بتلك الصـدمة (الانقسـام الطائفي ، تعدد اللهجات وبروز التفاضـل بينها، الامتياز العرقي)،ولكن ما سـرعان ما يسـتفيق من أثار هذا الانقسـام ويرجع نحو التوازن ،ولكن المعضـلة الأخرى هي عجز في كثير من الأحيان بعض الأنظمة السـياسـية في معالجة هكذا قضـايا، وفق أسـس ولائح وقوانين من شـأنها أنّ تنظم مثل هكذا مشـكلات وحصـرها في شـماعة واحدة، تحت مسـمى "مؤامرات تحاك اتجاه وطن "،ويتناسـى أصـل المشـكل ،وهو غياب سـبل تعزيز الهوية الثقافية كتوظيف وتوطين الإعلام المرئي والمسموع ،وحتى المكتوبة ،في محاولة لتسخيرها في محاربة كل ما من شـأنه أنّ يزرع الفتن والطائفية في وسط أبناء الوطن الواحد، وما يتطلب منه حلول جذرية فكرية كانت أو سياسية في تشكيل هوية الثقافية للمواطن بشكل يسمح له بالتعايش السلمي تحت مظلة " التنوع الثقافي" الذي من شأنه أنّ يعزز مفهوم الوحدة الوطنية بشكل عام.

وفي هذا الصـدد أشـار ت لؤي رؤى عبد الله (2018ص325) إلى " الهوية الثقافية والانتماء هما عمليتان ديناميتان، وأنّ هذه الحدود متحركة قابلة للتغييرات التي قد تظهر أحياناً، وقد تختفي في أحيان أخرى، الأمر الذي يؤشـر إلى أنّ الهوية تملك القدرة على التحرك، ويمكن أنّ تتغير بحسـب السـياق السـياسـي والاجتماعي، ويذهب مناصـرو فكرة الخيار العقلاني إلى أبعد من ذلك، فيرون أنّ الفرد يمكن أنّ يختار الانتماء أو عدم الانتماء إلى أية جماعة ،لا بل هناك من يعتقد أنّ الفرد يمكن أنّ يغير هويته، أو يمكنه أنّ ينتمي إلى عدد من الهويات في الوقت نفسه، وذلك من منطلق أنّ النّاس

يكيفون أفعالهم بحسب السياق والظروف لذلك فإن التركيز على إحداها، أو بروزها على حساب الهويات الأخرى، يمكن أن يتغير حسب السياق والظروف، وهذا يعني أنّ الحدود بين الجماعات، وخصوصاً الحدود الثقافية، تتشكل ويعاد صياغتها وتتطور ويتغير موضعها، ونحن نعتقد أن هذه الآراء تبالغ في التأكيد على مرونة الحدود وامكانية الخيار بين بدائل للاعتبارات التالية:

- إن التغير الثقافي ليس كافياً لتغيير الانتماءات وخصوصاً على مستوى الجماعات، وهناك حالات كثيرة تثبت أنّ التأثر الثقافي يشكل سبباً في تعزيز الانتماءات، فضلا عن حالات التثاقف العدائي.
- نجد أن تحويل الانتماء القومي أو الاثني نفسه مكبلاً بالقيود البنيوية التي تنتج سياسة النظام، وتؤدي إلى قيام حدود اجتماعية صلبة ثابتة أو شبة ثابتة وخصوصا في حالات الصراع.
- أنّ تحويل انتماء الفرد لا يعتمد على رغبته وقراراته وإنما يعتمد أيضاً على الآخر أي الجماعة التي يرغب في الانتماء إليها، إما بسبب خوفها من ضياع هويتها الخاصة بها والمميزة لها، وإما من أجل المحافظة على امتيازات خاصة في توزيع موارد المجتمع.
- أثبت التاريخ أنّ الهوية القومية والهوية الثقافية قادرتان على المراوغة والتملص من الضغوط وأنّهما قابلتان للصمود والاستمرار على المدى البعيد.

ويسوقنا هذ الطرح، إلى ربط **مفهوم المواطنة بالتنوع الثقافي** ومدى تأثر أحدهما بالآخر على أساس أنّهما عاملين مهمين في تشكيل الهوية الثقافية أو بالأحرى يقودنا إلى التعددية الثقافية ووسيلة مهمة بشعور الإنسان لإنتمائه للوطن، كون هذا الأخير " الانتماء" شعوراً وجدانياً كونه ركيزة مهمة في بناء المجتمع ناهيك على أنّ الهوية الثقافية هي عملية تعزيزية لقيم المواطنة، والذي يسهم في عملية البناء السياسي من خلال مشاركة الفرد في بناء الدولة والدفاع عنها.

وفي هذ الصدد أشارت بن عائشة (2021ص7) " يعدّ التنوع الثقافي تراثاً مشتركاً للإنسانية، ومن العوامل الداعمة لحقوق الإنسان وثروة العالم الثقافية وتحفيز الإبداع والابتكار الذي يقودنا للتعددية الثقافية وسلامة البنية التحتية للمجتمع المدني، ولا يرتبط ذلك بتغليب مسألة الانتماء الوطني على مفهوم المواطنة الأشمل، فالمواطنة هي شعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي تقدم بدورها الحماية وتحافظ على المكتسبات، وتقسم الموارد وتضمن تحقيق العدالة بين جميع أفراد المجتمع ، وفي المقابل احترام الجميع للعقد المبرم بين الفرد والدولة، في حين أنّ كلا منهما له وعليه حقوق وواجبات تجعله شريكاً إيجابياً في التنمية واتخاذ ما هو مناسب من قرارات تصب في مصلحة الوطن، وأمّا ربط المواطنة بمفهومي الأمة والقومية، فهو قد لا يكون صائباً، ولا أوافق الرأي من يربط القومية حصرياً بالأثنية أو العرق في إطارها الأكبر، وبدرجة

أقل ضمن حدود القبيلة والطائفة والإقليم في مفاهيم مسيسة أو إقصائية، وإنّ كانت تلك العملية ليست قاعدة بالضرورة.

وبناءً على ما سبق يمكن القول أنّ هناك نسق من العوامل المختلفة، والذي ترتبط بسلوكيات العامة للأفراد في اطارها القائم على التكامل بين **التنوع الثقافي والهوية الثقافية والمواطنة** و، والذي يقودنا إلى مسائل أكثر اتساعاً كونها محصلة تفاعلات بين الفرد ومحيطه بغض النظر عن عن الانتماءات المختلفة في نسق اجتماعي مختلف عن بعضه البعض.

واستنادا على ذلك نجد أنّ للهوية الثقافية وجه آخر مكمل لها وهو الانتماء الذي يعرّف بأنّه معني موجود داخل كل فرد وعلى اختلاف المستويات، وهو الشعور الذي يوجد لديهم منذ الصغر ،ويقوى هذا الشعور من خلال نشأة الفرد، فيتكون لديهم هذا الشعور الذي يترجم لأفعال داخل المجتمع، فإذا كانت الهوية هي عملية الإدراك الداخلية لذاتية الشخص والتي تمدها عوامل خارجية يدعمها المجتمع، فإنّ الانتماء هو الشعور بهذه العوامل الخارجية والذي يترجم من خلال أفعال تتّسم بالولاء لهذه المجتمعات التي ينتمون إليها دون سواها، وعليه نجد أنّ الهوية الثقافية تتحرك في دوائر متداخلة ولكنها ذات مركز واحد وتترجم هذه الأفعال إلى قيم المواطنة القائمة على احترام الآخر تحت مسمى التعايش السلمي. (ضو،2017ص29)

ومنه يمكن القول، أنّ التنوع الثقافي له دوره في تشكيل الهوية الثقافية للفرد في ظل قيم المواطنة من منظور الانثروبولوجيا، وهو جوهري لأنّه نابع من مشكلة طبيعة علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، وعلى فهم مشكلة الهوية الثقافية على مستوى الأفراد أو الجماعات كونها سمة المجتمع الحديث في ظل التحولات والهيمنة الإعلامية، وتحدّيات العولمة.

وقد يؤدي التنوع الثقافي في الوسط المجتمعي في جانبه السلبي– على حسب علم الباحث- بسبب التناقض الحاصل على مستوى الثقافات المتعددة داخل المجتمع الواحد وبروز التفاضل بين الثقافات، وخلق مجتمعات منغلقة ثقافياً ،وما يتولد عنها صراع ثقافي قد يهدد النسيج المجتمعي، لأنّه بصعوبة بمكان خلق قانون موحدّ يلتزم جميع المجتمعات المختلفة في العادات والتقاليد والأعراق تحت قانون واحد ودستور واحد ،إلا أنّه يمكن تجاوز هذا النوع من الصراع، إذا تم تعزيز قيم المواطنة عن طريق تنمية الهوية الثقافية، وهذا ما نصّت عليه المادة (6) من الإعلان العالمي لمنظمة اليونيسكو (2021) حول التنوع القافي تحت شعار " نحو تنوع ثقافي متاح للجميع " والذي نصّه "**إلى جانب كفالة التداول الحرّ للأفكار بالكلمة والصورة، ينبغي الحرص على تمكين كل الثقافات من التعبير عن نفسها والتعريف بنفسها، ذلك أنّ حرية التعبير، وتعددية وسائل الإعلام، والتعددية اللغوية، والمساواة في فرص الوصول إلى أشكال التعبير الفني والمعارف**

العلمية والتكنولوجية، بما في ذلك المعارف في صورتها الرقمية، و إتاحة الفرصة لجميع الثقافات في أن تكون حاضرة في وسائل التعبيروالنشر، هي كلها ضمانات للتنوع الثقافي"

9. نتائج الدراسة:

وخلصت الدراسة التحليلية لدور التنوع الثقافي في تشكيل الهوية القافية من منظور قيّم المواطنة على النحو التالي:

- تعتبر الثقافة الوسيلة الأولى والأهم لتحقيق التقدم لأي بلد كان، فمن خلالها يمكن تحقيق التعايش واللحمة الاجتماعية، وكذلك غرس قيم المواطنة القائمة على الوحدة الوطنية

- يمكن تعزيز قيم المواطنة من خلال تشكيل هوية ثقافية بعيدة عن الهيمنة الثقافية كمظهر من مظاهر للعولمة، وتكريس كل السبل المتاحة في مواجهة الذوبان الثقافي ومحاربة التطرّف والعنف، وذلك بتقوية الروابط بين أفراد المجتمع الواحد على أسس دينية ووطنية.

- يعتبر التنوّع الثقافي أسلم الخيارات وأسهلها في كل الأوطان والمجتمعات، على اعتباره وسيلة لحماية الأوطان من الحروب والنزاعات من أجل تحقيق استقرار سياسي واجتماعي في ظل مجتمعات تؤمن بالتعدد الثقافات وتنوعها.

- المساهمة في بناء الوحدة الوطنية من خلال العمل على تطوير وبناء أسس ثقافية واجتماعية وسياسية متكاملة، بحيث تكون مبادئ قيّم المواطنة هي من أهم الأولويات والتي من خلالها يستمد منها جميع أبناء الوطن الانتماء الحقيقي للوطن، بعيدًا عن التصنيفات والانتماءات الفرعية والتعصبات.

- العمل على بناء مؤسسات الدولة في ظل التنوع الثقافي، والتي تقوم على المشاركة المجتمعية وجعل معايير الكفاءة المهنية والعلمية في جميع المجالات لا سيما الثقافية هي الأساس بدلاً من التمييز العنصري، كون هذا الأخير سبب في أزمة تشكيل الهوية الثقافية لدى الفرد ممّا ينجم عنه خلل في مفهوم المواطنة.

- تطبيق والالتزام بالقانون، وتجاوز كل محاولات الالتفاف عليه فلا مواطنة بدون ضوابط شرعية قانونية تنظمها، والتي بدورها تحدد الحقوق والواجبات لأبناء الوطن الواحد.

- السعي إلى تحقيق مفهوم التعايش السلمي في الوسط المجتمعي في إطار التباين والتنوع الثقافي وأن هذا التنوع لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود استعداد نفسي لدى أفراد المكونات الاجتماعية القائم على حرية الآخرين وتقبل الآخر له.

10. خاتمة الدراسة:

وفي الأخير يمكن القول، أنّ التنوع الثقافي يعكس حياة طريقة شعوب بكل ما تحمله من معاني وجوانب الحياة المختلفة ،ناهيك على أنّه وسيلة حضارية وإنسانية في المقام الأول ،ولا يتسنى ذلك إلا في ظل الهوية الثقافية بكل مل تحتويه من تعقيد في تكوينها وتشكيلها في أنساق متعددة من السلوك والأفكار، ولهذا يجب ترسيخ في العقل المجتمعي نبذ كل أسباب الفرقة التي من شأنها عرقلة تشكيل الهوية الثقافية، مع التخلي على الثقافة الأحادية التي قد تسقط صفة الوطنية عن الأخرين ،إذ يشترط مبدأ المواطنة أنّ يكون أساس التعامل التقبل لكل ثقافة مجتمعية بغض النظر عن الاختلاف القائم بينهم، وتحقيق الاندماج الاجتماعي وبناء هوية وطنية قائمة على مجموعة من القيم التي تخدم الصالح العام.

قائمة المراجع والمصادر:

السيد صادق عباس الموسوي، (2012): *الحركات الإسلامية بين خيار الأمة ومفهوم المواطنة*، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الأولى، مركز غدير للدراسات والنشر: بيروت.

الطيب، عبد الجليل حسين (2005). *الهوية والجنسية*، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الزعيم الأزهري، الخرطوم، السودان.

بن مهني، لحسن وجغلول، زغدود (2018). *الأقليات ومثلث الهوية اللغة، الدين، الثقافة*، مجلة الشريعة والاقتصاد. المجلد (7). العدد 13،جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة. الجزائر

خليل، طلال حامد (2020). *إشكالية التنوع الثقافي في المجتمع العراقي بين تقليدية المجتمع وسراب الحداثة*، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد (9)العدد (2)، كلية القانون والعلوم السياسية ،جامعة ديالي ،العراق.

زامل، يوسف عناد ومنصور، جميل محسن (2022). *التنوع الثقافي والاجتماعي" قراءة انثروبولوجية في التدرج الثقافي والطبقي للمجتمعات"* ،وقائع المؤتمر العلمي السنوي الدولي السادس لكلية الآداب (التنوع الثقافي أساس الوحدة والتكامل الوطني)،العراق.

سرحان، سندس أحمد وصراوة، عبادي، زينب (2019). وسائل الاتصال والتواصل الرقمي في التنوع الثقافي ذو الهيمنة، المجلة العراقية للمعلومات، المجلد (20) العدد (1-2)، العراق.

سوقال، إيمان (2018). *التنوع الثقافي جدليات التواصل وإعادة بناء الهوية*، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الاغواط- المجلد 07، الجزائر.

فاضل، أحمد حسين (2020). *الحماية الدستورية لحق التنوع القافي في العراق*، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد (9) العدد (2)، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة ديالي، العراق.

لؤي، رؤى عبد الله (2018). *التنوع الثقافي وهوية الجامعة العراقية (رؤية تحليلية للحالة العراقية)*، مجلة الآداب العدد 126، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، العراق.

محمد بلقاسم بوعلاتي (2008): *المصالحة والعفو*، رسالة المسجد، السنة السادسة، العدد (5)، الجزائر.

ضو، سارية عبد الرحيم (2017). *الهوية الثقافية لأزياء الدراما تلفزيون السودان التاريخية، دراسة تحليلية لمسلسلي (اللواء الأبيض، أمير الشرق)* ،مذكرة ماجستير غير منشورة ،جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ،كلية الموسيقى والدراما، السودان.

مساعدية، لزهر (2017). *في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها*، (العادات، التقاليد، الأعراف)، مجلة الذاكرة، العدد (9)، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، ميلة الجزائر.

منظمة الأمم المتحدة (UNICEF) (2021). *صكوك حقوق الإنسان*، الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي. رابط الاسترجاع:

https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/universal-declaration-cultural-diversity